تجديد الخطاب الدعوي

أعتقدُ أنّه لا يختلفُ اثنانِ في العالَمِ الإسلاميِّ في موضوعِ تجديدِ الخطابِ الدينيِّ كأسلوبٍ ، ليس غير ، بحسبِ المستجدّاتِ التي نعيشها اليومَ .

إنّ ما يجري في العالَمِ الإسلاميّ اليومَ من مؤتمراتٍ وندواتٍ تحت اسمِ التجديدِ في الخطابِ الدينيّ هو أسلوبٌ التفافيٌّ لإلغاءِ الخطابِ الدِّينيّ ، أو لتفريغِه من مضمونِه ، حيث يصبحُ الدِّينُ متوافقاً مع مصالحِ القطبِ الواحدِ في السيطرةِ ونهبِ الثرواتِ .

إنّ الحقيقةَ المُرّةَ أفضلُ أَلْفَ مَرّةٍ من الوهمِ المريحِ ، هناك من ينادي بأنْ نَضِلَّ قبل أن نُجبَرَ على الضلال ، وأن نَذِلَّ قبل أن نُجبرَ على الذل .

إنّ آيةً واحدةً في كتابِ اللهِ تلخِّصُ ما يجري في العالَمِ الإسلاميِّ ، وهي قولُه تعالى :

﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾

[الإسراء : ٧٣ـ٧٥]

هذه الآيةُ تنظِّمُ علاقةَ الطرفِ الآخرِ بالمسلمين ، والهدفُ من عقدِ مؤتمراتٍ في العالَمِ الإسلاميّ تحتَ اسمِ التجديدِ في الدِّين إلغاءُ الخطابِ الإسلاميّ أو تفريغُه من مضمونِه .

الخطابُ الدينيّ فرضٌ عينيّ ، وفرضٌ كفائيٌّ ، أمّا كونُه فرضاً عينياً فلقولِه تعالى :

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر : ١ـ ٣] .

التَّواصي بالحقِّ رُبْعُ النجاةِ ، التَّواصي بالحقِّ من أجلِ الحفاظِ على كيانِ الدِّينِ ، ومن أجلِ نموِّ الدينِ ، ومن أجلِ أن تضيقَ دوائرُ الباطلِ ، فلابد من خطابٍ دينيٍّ كفرضِ عينٍ على كلّ مسلمٍ ، ولكنْ في حدودِ ما يعلمُ ، ومع مَن يعرفُ ، يؤكد هذا المعنى حديثُ النبيّ عليه الصلاة والسلام ، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً . . . »[1] .

إنّ كلَّ مسلمٍ مكلَّفٌ أن يُبَلِّغ مَن حوله مِن أصدقائِه وجيرانِه وزملائِه وأهلِه كلمةَ الحقِّ التي سمعَها في حدودِ ما يعلمُ ، ومع مَن يعرفُ ، هذا فرضٌ عينيّ تؤكِّده آيةٌ أخرى ، قال تعالى :

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

قالوا : البصيرةُ : الدليلُ والتعليلُ .

---

(١) البخاري (٣٢٧٤) ، الترمذي (٢٦٦٩) .

﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف : ١٠٨] ، فالذي لا يدعو إلى اللهِ على بصيرةٍ لا يتّبع النبيَّ عليه الصلاة والسلام ، وهو بالتالي لا يحبّ اللهَ ، قال تعالى :

﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

هذا الخطابُ الدِّينيّ فرضُ عينٍ على كلّ مسلمٍ في حدودِ ما يَعْلَم ، ومع مَن يعرف .

أمّا الخطابُ الدِّينيُّ كفرض كفائي ، فتؤكده الآية الكريمة :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، فهذا التفرُّغُ والتعمّقُ وامتلاكُ الأدلةِ التفصيليةِ هو فرضٌ كفائيٌّ ، إذا قام به البعضُ سقطَ عن الكلِّ .

إنّ أَحَدَ العلماءِ الغربيين هداه اللهُ إلى الإسلامِ التقى بالجاليةِ المسلمةِ في بريطانية ، وقال كلاماً رائعاً ، قال : « أنا لا أصدِّقُ أنْ يستطيعَ العالَمُ الإسلاميُّ في المدى المنظورِ أنْ يلحقَ بالعالَمِ الغربيِّ لاتساع الهوّةِ بينهما ، ولكنني مؤمنٌ أشدَّ الإيمانِ أنّ العالَمَ كلَّه سيركعُ أمامَ أقدامِ المسلمين ، لأنّ في الإسلامِ خلاصَ العالَمِ » .

كان قَبْلَ حينٍ ثلاثُ كتلٍ من القيمِ والمبادئِ ؛ قيمُ الشرقِ والغربِ ، وقيمُ الإسلامُ ، فقيم الشرقِ تهاوتْ من الداخلِ ، وانتهى الأمرُ ، بقيتْ كتلتان كبيرتان مِن القيمِ والمبادئِ ، قيمِ الإسلامِ ومبادئِه ، وقيمِ الغربِ ومبادئِه ، الغربُ ذكيٌّ جداً ، وقويٌّ جداً ، وغنيٌّ جداً ، وقد طرحَ قيماً رائعةً : الحريّةُ ، الديمقراطيةُ ، حقوقُ الإنسانِ ، تكافؤُ الفرصِ ،

العدالةُ ، حقُّ المقاضاةِ ، العولمة ، ولكنّ هذا البناءَ الشامخَ مِن قيمِ الغربِ ومن مبادئِه تهاوتْ عقِبَ الحادي عشر من أيلول ، فلم يبقَ في الساحةِ إلا مبادىءُ الإسلامِ وقيمُه ، وهذه فرصةٌ ذهبيةٌ للمسلمين لنشرِ هذا الدِّينِ بأسلوب حكيمٍ فعَّالٍ .

ماذا قال هذا العالِمُ الأمريكي ؟ قال : « ولكنّ العالَمَ كلَّه سوف يركعُ أمامَ أقدامِ المسلمين إذا أحسنوا فَهْمَ دِينِهم ، وأحسنوا تطبيقَه ، وأحسنوا عرضَه للعالَمِ » ، هذا هو الشيءُ الأولُ .

الشيءُ الثاني : التعريفُ الدقيقُ الجامعُ المانِعُ للتجديدِ ، أن ننزعَ عن الدينِ كلَّ ما علِقَ به مما ليس منه فقط ، لأنه دينٌ توقيفيٌّ ، قال تعالى :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾

[المائدة : ٣]

قال علماءُ التفسيرِ : الإتمامُ عدديٌّ ، والإكمالُ نوعيٌّ ، أي : إنّ القضايا التي عالجها الدينُ تامَّةٌ عدداً ، وإن طريقةَ المعالجة كاملةٌ نوعاً ، وأيُّ إضافةٍ تعني اتِّهامَ الدينِ بالنقصِ ، وأيّ حذفٍ يعني اتِّهامَ الدينِ بالزيادةِ ، فلمّا أضفْنا على الدِّينِ ما ليس منه تفرَّقنا ، وصار بأسُنا بيننا ، ولمّا حذفْنا من الدِّينِ أصبحنا في مؤخّرةِ الأممِ ، فإنْ أضفنا نتفرّقْ ، وإنْ حذفْنا نضعفْ .

كفكرةٍ تمهيديةٍ لحقيقةٍ خطيرةٍ ؛ إنّ كمالَ الخَلقِ يدلُّ على كمالِ التشريعِ ، أضربُ لكم مثلاً بالبعوضةُ التي ذكرها اللهُ في القرآنِ فقال :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة : ٢٦] .

ما من مخلوق أحقرُ على الإنسانِ من بعوضةٍ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى الكَافِرَ مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ »[1] .

البعوضةُ في رأسِها مئةُ عينٍ ، وفي فمها ثمان وأربعون سنًّا ، وفي صدرِها ثلاثةُ قلوبٍ ؛ قلبٌ مركزيٌّ ، وقلبٌ لكلِّ جناحٍ ، تملكُ البعوضةُ أجهزةً لا تملكُها الطائراتُ ، تملك جهازَ استقبالٍ حراريًّا ، فهي ترى الأشياءَ بحرارتها لا بأحجامها ، ولا بألوانِها ، ولا بأشكالِها ، وحساسيةُ هذا الجهازِ واحدٌ مِن الألفِ من درجةِ الحرارةِ المئويّةِ .

وتملك البعوضةُ جهازَ تحليلٍ للدَّمِ ، فما كلُّ دمٍ يناسبُها ، وتملك جهازَ تخديرٍ ، وتملكُ جهازَ تمييعٍ ، وللبعوضةِ خرطومٌ فيه ستّ سكاكين ، أربع سكاكينَ تُحدِثُ في جلدِ الملدوغ جرحاً مربَّعاً ، ولابد مِن أن يصلَ الجرحُ إلى وعاءٍ دمويٍّ ، والسكِّينتانِ الخامسةُ والسادسةُ تلتقيان لتشكِّلاَ أنبوباً لامتصاصِ دمِ الملدوغِ .

وفي أرجُلِ البعوضةِ مخالبُ إذَا أرادتْ أنْ تقفَ على سطحٍ خشنٍ ، ولها محاجمُ إذا أرادتْ أن تقفَ على سطحٍ أمْلسَ .

لمَ سقتُ هذا المثلَ ؟ الذي خلَق البعوضةَ على هذا النحوِ المعجِزِ لا يمكنُ أنْ يحتاجَ دينُه إلى تبديلٍ ، ولا إلى تعديلٍ ، ولا إلى استدراكٍ ، ولا إلى تجديدٍ ، ولا إلى تطويرٍ ، مع أنّه لا يختلفُ اثنانِ في العالَم الإسلاميِّ على وجوبِ التجديدِ في طريقةِ العرضِ والأسلوبِ .

---

(١) الترمذي (٢٣٢٠) ، ابن ماجه (٤١١٠) .

في الدِّينِ قيمٌ ثابتةٌ ، ومبادئُ ثابتةٌ ، سمِّها إنْ شئت الثوابتَ ، هذه مغطّاةٌ بنصوصٍ قطعيةِ الدَّلالةِ .

وفي الإسلامِ متغيِّراتٌ مغطّاةٌ بنصوصٍ ظنّيةِ الدّلالةِ ، هي محلُّ الاجتهادِ ، ومحلُّ التجديدِ والتطويرِ ، والمشكلةُ أننا مكلَّفون أن نتّبعَ في عقائدِنا وعبادتِنا ، وأنْ نبتدعَ في دنيانا ، الذي حدث أننا ابتدعنا في عقائِدنا ، وفي عباداتِنا ، وقلّدنا في دنيانا ، فكنا في مؤخّرةِ الأممِ .

معنى التجديد أن ننزعَ عن الدِّينِ كلَّ ما علِقَ به ممّا ليس منه ، والأزمةُ كما أراها ليست في تجديدِ الخطابِ الدينيّ ، بل في مصداقيةِ الخطابِ الدينيّ .

جاءتني رسالةٌ ذاتَ يومٍ بالبريد الإلكتروني ، وهي قصة قصيرة عن إمامِ مسجدٍ في بريطانية نُقلَ إلى بلدةٍ في ظاهرِ لندن ، فاضطرّ أنْ يركبَ المركبةَ العامّة كلَّ يومٍ ، ومن غرائبِ الصُدَفِ أنه يركبُ المركبةَ نفسَها مع السائقِ نفسِه ، وفي إحدى المرات صَعَدَ المركبةَ ، وأعطَى السائقَ ورقةً نقديةً ، ردّ له السائقُ البقيةَ ، عندما عدّها وجدها تزيد على ما يستحقُّ عشرين سِنتاً ، فقال : أنا كَوْنِي مسلماً ينبغي أنْ أردَّ هذه الزيادةَ ، ثم قال : هي زيادةٌ طفيفةٌ ، والشركةُ عملاقة ، ودخْلُها فلكيٌّ ، ولا تتأثّرُ بهذا المبلغِ الزهيدِ ، هو هبةٌ مِن اللهِ لي ، وهذا خطأٌ ، فلما جاء وقتُ نزولِه من المركبةِ وقفَ أمامَ السائقِ ، ودونَ أنْ يشعرَ أعطاه العشرين سِنتاً ، فابتسمَ السائقُ ، وقال له : ألستَ إمامَ هذا المسجدِ ؟ قال : بلى ، قال : واللهِ حدَّثتُ نفسي أنْ أزورَك في المسجدِ لأتعبدَ اللهَ ، ولكنني أردتُ أنْ أمتحنَك ، فوقعَ هذا الإمامُ على الأرضِ لهولِ الصدمةِ ،

لأنه تصور عظم الجريمة التي كاد يقترفها لو أبقى المبلغ معه ، فلما استعادَ وعيَه وقفَ ، وأمسكَ بعمودٍ ، وقال : يا ربّ كدتُ أبيعُ الإسلامَ كلَّه بعشرين سنتاً .

كم من مسلمٍ يبيع دينَه كلَّه بشركةٍ ، بحصّتِه من شركةٍ ، باستعصائِه في بيتٍ ، بكذبٍ ، باحتيالٍ .

إنّ الأزمةَ اليومَ أزمةُ مصداقيةِ الخطابِ الدِّينيّ ، لماذا فعَلَ الأنبياءُ شيئاً لا يكادُ يصدَّقُ ، وآلافُ الدعاةِ لا يفعلون شيئاً ؟ لأنّ الأنبياءَ فعلوا بسلوكهم ما قالوه بألسنتِهم .

لقد كان سيّدُنا عمرُ إذا أرادَ إنفاذَ أمْرٍ جمعَ أهلَه وخاصَّتَه ، وقال : « إنّي قد أمرتُ الناسَ بكذا ، ونهيتُهم عن كذا ، والناسُ كالطيرِ ، إنْ رأوكم وقعتُم وقعوا ، وايمُ اللهِ لا أوتيَنّ بواحدٍ وقعَ فيما نهيتُ الناسَ عنه إلا ضاعفتُ له العقوبةَ لمكانِه مني ، فصارت القرابة من عمر مصيبة » .

سيدنا عمر رأى إبلاً سمينة فقال : « لمن هذه الإبلُ ؟ قالوا : هي لابنك عبدِ اللهِ ، قال : ائتوني به ، وغضبَ ، فلما جاء ابنُه عبدُ اللهِ قال : لمن هذه الإبلُ ؟ قال : هي لي يا أبتِ ، اشتريتُها بمالي ، وبعثتُ بها إلى المرعى لتسمنَ ، فماذا فعلت ؟ قال عمر : ويقولُ الناسُ : ارعوا هذه الإبلَ ، فهي لابنِ أميرِ المؤمنين ، اسقوا هذه الإبل ، فهي لابنِ أميرِ المؤمنين ، وهكذا تسمن إبلُك يا ابنَ أميرِ المؤمنين » .

واللهِ الذي لا إله إلا هو لو فهِم الصحابةُ الكرامُ الإسلامَ كما نفهمُه نحن لمَا خرجَ هذا الدينُ من مكّةَ ، ولكنّه وصلَ إلى أطرافِ الدنيا بالقيمِ والمبادئ .

حينما أرسلَ النبيُّ ﷺ صحابتَه إلى الحبشةِ سألَ النجاشيُّ سيدَنا جعفر بن أبي طالبٍ أنْ يحدِّثه عن الإسلامِ ، فَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ . . . كُنَّا قَوْماً أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ ، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا ، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ ، وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ ، وَقَوْلِ الزُّورِ ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لاَ نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ »[1] .

الآن افهموا معي هذا الحديثَ الشريفَ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ . . . »[2] ، أين الإسلام ؟ هذه العباداتُ الخمسُ أم هذا الذي بُني عليه مجموعةُ قيمٍ إسلاميةٍ ؟

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : « الدِّينُ كلُّه خُلقٌ ، فمَن زاد عليك في الخُلُقِ زاد عليك في الدِّينِ »[3] .

---

(١) أحمد (١٧٤٠) عن أم سلمة .
(٢) البخاري (٨) ، مسلم (١٦) ، الترمذي (٢٦٠٩) .
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٠٧) .

الأزمةُ ليست في تجديدِ الخطابِ الدينيِّ ، ولكنْ في مصداقيّةِ الخطابِ الدينيّ .

الأزمةُ ليست في شبهةٍ في الرؤوسِ ، ولكنّها أزمةٌ في النفوسِ .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ؟ فَقَالَ : هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلاَدِهَا ، قَالَ : قُلْتُ : وَمَا شَأْنُهَا ؟ قَالَ : بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا فَقَالَتْ : بِسْمِ اللهِ ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ : أَبِي ؟ قَالَتْ : لاَ ، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللهُ ، قَالَتْ : أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ ، قَالَتْ : نَعَمْ فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا ، فَقَالَ يَا فُلاَنَةُ ، وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ ، فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلاَدُهَا فِيهَا ، قَالَتْ لَهُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ؟ قَالَ : وَمَا حَاجَتُكِ ؟ قَالَتْ أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، وَتَدْفِنَنَا ، قَالَ : ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنْ الْحَقِّ ، قَالَ : فَأَمَرَ بِأَوْلاَدِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِداً وَاحِداً ، إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ ، وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ ، قَالَ : يَا أُمَّهْ اقْتَحِمِي ، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ ، فَاقْتَحَمَتْ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارٌ ؛ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَم ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ ، وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ »[1] .

---

(١) أحمد (٢٨٢٢) .

هذه حلاّقةٌ عندها هذا الثباتُ ؟ ونسمعُ كلّ يومٍ من أعلى المراتب الدينية فتاوى تتناقضُ مع جوهرِ الدينِ ، أليس كذلك ؟ تسمعون كَلَّ يومٍ فتاوى لإرضاءِ الأقوياءِ ، مِن أجلِ أنْ يتماشى الدينُ مع مصالحِهم .

والحقيقة أنّه جهةٌ في الأرضِ مهما بَدَتْ قويّةً طاغية فلن تستطيعَ أنْ تفسدَ على اللهِ هدايتَه لخَلقِه ، لكنهم يتكلمون ، ويهدِّدون ، والحقيقة هي أنّ اللهَ لا يُسلمنا إلى غيرِه :

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود : ١٢٣] .

متى أمَرَك أنْ تعبدَه ؟ بعد أنْ طمأنَك :

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ .

* * *